مركز «بشيرة» للفن المعاصر

# روحنة تنصيبات الفيديو للفنانة الاسبانية مارتا فيراتي

رشيد الحسني

## رادس.. برشلونة.. سيدي ثابت.. أية علاقة بين الأماكن الثلاثة؟

**مارتا فيراتي فنانة تشكيلية اسبانية من مدينة برشلونة تقيم بمركز الفن الحي برادس لمدة شهرين وتنجز أعمالا بصرية ثم تعرض تنصيباتها بمركز «بشيرة» للفن المعاصر BAC ART CENTER بضواحي تونس العاصمة.. رحلة فنية شيقة لتفعيل التواصل بين الثقافات.. برشلونة المنطلق وسيدي ثابت مكان الوصول...**

في الواقع بلغت الى مسامعي أخبار غير مكتملة عن تأسيس مركز بشيرة وعن تنظيم معارض متميزة لعل أهمها معرض فوتغرافي بعنوان «شوف» والمعرض الاخير للفنان ياسر جرادي الذي لم أره.. حتى قادني الثلاثاء الماضي منسق الرواق ومنسق الجمعية التونسية – الاسبانية «جسر» JISER راعية المعرض، الفنان التشكيلي محمد بن سلطان عبر سيارته الى الرواق حيث تنتصب قلعة الفنون الجميلة.

مفر للفن عميقا داخل الغابة.. غير بعيد عن سبالة بن عمار والمنيهلة، تترامى سيدي ثابت المعروفة بالفلاحة وبتربية الخيل والقطب التكنولوجي الحاضن للبرنامج النووي التونسي المفترض.. كنت أمر بجنائن سيدي ثابت الساحرة ومسالكها الهادئة أثناء تدريباتي الرياضية راكبا الدراجة الهوائية نحو قلعة الاندلس أو راس الجبل والعالية وحتى طريق ماطر.. عدة مرات عبرت بالمكان ولم أتبين معالم رواق بشيرة المحصن وسط البساتين..

معرض مارتا فيراتي الذي يحمل عنوان –RETROU VAILLES ، تم تدشينه يوم 24 نوفمبر الماضي وسيكون مفتوحا أمام الزوار الى غاية يوم 22 ديسمبر 2013.. هذه الفنانة هي خريجة كلية الفنون الجميلة ببرشلونة. أنجزت عدة معارض شخصية في اسبانيا وفي مدن عالمية أخرى مثل لندن وبرلين. ناشطة في برنامج التعاون الفني الذي ينتظم بجامعة نيومكسيكو في الولايات المتحدة الامريكية..

حلت الفنانة مارتا فيراتي مؤخرا بمركز اقامة الفنانين للفن الحي برادس لتنجز مشروعها الفني بعد ان تم اختيارها من قبل جمعية جسر لتنفيذ مشروع في الابداع التشكيلي. تمنح هذه الجمعية كل سنة اقامة لفنان تشكيلي وقد انطلقت أولى التجارب سنة 2010 مع الفنان الاسباني ميكائيل فيرت ثم تلاه الفنان التونسي محمد بن سلطان سنة 2011 وبعد ذلك منحت الاقامة الى الفنانة التونسية رانية واردة سنة 2012.

### الفن حيث أنت

منطلقات فيراتي كانت عديدة: الحلم والرؤى والرسائل والاشارات والعالم المتخيل وغيرها من منابع الفن.. تنوعت المنطلقات بينما الهدف كان واحدا محاولة استعادة لحظة النشوء الازلية واستقراء دلالاتها وفهم ما وقع للانسانية بالضبط وذلك من خلال تفكيك معاني التنافر بين الانفصال المتلازم للرؤى والوعي.. انها عملية اعادة اتصال بقريحتنا وكينونتنا وجوهر وجودنا.

لم تذهب مارتا فيراتي في عملها التشكيلي بعيدا لتقصي جذور الانسان.. فهي في تنصيبة فيديو لها بعنوان REFLETS تفتح الكاميرا وتصور العالم الخارجي كما يبدو لها من شباك بيتها في رادس.. حبل الغسيل تذروه الرياح.. ملابس شفيفة مخيطة تتشكل طوع الرياح.. أثواب تلبسها أحزمة هواء سابحة في الأثير وهي تتخدد تغير أحجامها باستمرار ودون انكفاء... مدة عرض الفيديو 4 دقائق و25 ثانية.. 3 نسخ من الفيديو معروضة للبيع.. لا يهم الديمومة أو تسويق بضاعة الفن الكاسدة.. ان مارتا فيراتي لا تهتم، فالفن عندها يوجد حيث أنت تقيم، قريب المأخذ من أنسجة الروح وحشرجتها الجاهدة.. شد وانقباض وفق حركة البلوك المتناغم: قلب يضخ الدماء ورئتان تسكبان الاوكسيجين في الخلايا والأنسجة..

مشهد حبل الغسيل المعروض في تنصيبة الفيديو.. صور مكررة في ردهة المعرض.. عالم حقيقي مضغوط في بوتقة بصرية رقمية.. وفي المقابل عالم هو

عين الحقيقة معروض في عناد غريب وجها لوجه في العراء... ملابس عرياة مرمية معرضة الى حملة التجفيف وحفل التواطىء المرعب... لعبة فكهة وتسلية مرة تلخص التجاذب الخفي بين التعري والحجب... الدماغ يتحرر من الوسخ والودك بينما الجسد يتشهى سفوره في غفلة من عيون المارة... عند أي حدود تتوقف كينونة كسلانة تتمطى خارج الأسيجة والأسوار؟

هل شبعت الروح من رضاعة أثداء الأثير الخرافية المعسلجة؟

### كشف اللامرئي

شاشة واحدة تعرض مشاهد متداخلة معجونة في بعضها البعض.. في عمل بعنوان زيارات VISITES تستدعي مارتا المتلقي الى رحلة مذهلة: محاولة اكتشاف تمرين الحلم عذوبته وهواجسه رخاوته ورعبه سكره وحنضله.. لماذا ينتهي الحلم سريعا؟ لماذا يأتي مباغتا؟ ثم من أين يأتي أصلا؟ وما الحاجة في استعادته؟

عودة الى الأصول: دموع مسكوبة ماء زخار وموج هادر.. أغصان شجر متشابكة في عناق حميم.. صور متراقصة من الطبيعة وصوت متكسر من الطبيعة أيضا.. عودة الى النبع ومخرج الروح الاولى للكون...

في عمل بعنوان حضور تبلغ عرضه دقيقة واحدة و37 ثانية لا غير تتلاعب الظلال.. كاميرا مثبتة وسط الشارع تمتد المدينة حتى تلامس البحر المتوسط.. يقطع شيخ الطريق أفقيا بئن متهالكا على عصاه بلباس أبيض.. غبار سديمي يفسخ صفاء المنظر.. الانسان بين فكي الزمن الفولاذية يمر فيتلاشى كأنه لم يوجد مطلقا.. فمن الذي سيعيد للبشر الهباء هيكله؟ التتابع التوليفي للصور في الفيديو يبني جذورا تداعت وامّحت، يشيدها من فراغ.. الانسان يتذكر ويتفكر ليفهم خديعة اللحم الذي نبت فيه.. فقط الروح والخيال والذاكرة والحلم والتوثب تتيح للانسان عمرا آخر مع كل تمرين جديد.. مبادلة خدعة بصرية بخدعة فيزيائية أزلية... أي حبل سيقودنا الى اللامرئي المغلف بالتكلس والنسيان؟

ألا تعد أحزمة الضوء وفوطونات الصورة وجرسية الصوت في الفيديو سلوانا وعزاء للذاكرة المزقة الخرقاء؟

هل تكفي الالوان لتعكس انكسارات الروح؟ وهل تعوض الحركة عما لحق الجسد من رضوض وكدمات؟

### تقنية الرقص

تبنى المعالم التشكيلية لمارتا فيراتي من شخوص مرحة تتغيا الحياة وتتطلع اليها. ولدى مارتا تبدو الاشياء الجامدة موحية بالتحرك والانسجام.. أسلاك الكهرباء وأقنية وصل الصبيب الصوري تحاكي نسيج العروق الآدمية بل هي استمرار لها وامتداد لانكماشها وتمططها الذي لا يهدأ.. حتى وان توقفت العروق عن العمل الميكانيكي ينوبها سدى الحاشدات الالكترونية... وهم ماكر مؤقت لا غير... في العمل التركيبي الرابع للفنانة وهو بعنوان «ياسمين تعود الى الجذور» ومدة عرضه 4 دقائق وثانية واحدة، تكشف مارتا عن ملكة الرقص كفن تعبيري له لغته الخاصة.. لقد أصاب الفلاسفة عندما قالوا ان الانسان هو مركز الكون ورحاه على الرغم من تسليمهم في الوقت ذاته بأن الانسان قصبة فارغة أو حيوان ضاحك.

لكل انسان رقصته ولكل حضارة رقصتها: الرقصة الصوفية الدوارة وهز الحزام لدى الشرقي الجذلان.. البالبكا الروسية والتانغو الارجنتيني الحزين والرومبا اللاتينية.. انتفاضة الافريقي المحمومة لطرد الارواح الشريرة.. رقصة زوربا اليوناني.. رقصة الديك الذبيح.. رقصة الآدمي المغدور.. رقصة التزاوج واحتفالية البالون الملون في الاغواء الحيواني لدى البلشون... رقصات ورقصات لا تنتهي... أما رقصة ياسمين جارة مارتا الطفلة العابثة.. فهي رقصة البراءة والتحرر من القيد.. تدور ياسمين وتدور مستجيبة لايقاع المزود وايقاع الموسيقى..

### الطوطمية

قالت مارتا فيراتي انها مهتمة بالسحر والبوغا وتأملات الزان ZEN والطقوس الشامانية الآسيوية والكتابات الادبية الفارسية وكل ابداعات الاسلاف الخارقة.. هي بذلك تجذر عملها التشكيلي بما يتعارف عليه النقاد التشكيليون بالفنون البصرية في صميم التمارين الطوطمية.. كما أنها تهدف الى روحنة تقنية تنصيبات الفيديو أي اغراقه اكثر في دفء الروحانيات.. أندلس

## في غابات مونتسيني «تغدّرت» أوراق مارتا

الحوار مع مارتا فيراتي حول تنصيبات الفيديو ومجمل تجربتها التشكيلية كان باللغة الانقليزية وحتى بمساعدة من الفنان التشكيلي محمد بن سلطان الذي يتقن اللغة الاسبانية نوعا ما.. وتفضل الفنانة أن تتحدث أعمالها التشكيلية بدلا عنها وكان من الصعوبة بمكان افتكاك الاجوبة منها.. كيف سيفهم عالمها الفني والمرء خالي الذهن منه.. للتو فقط بدأت عملية استقراء دلالات تنصيباتها.. كان لابد من ايجاد الخيوط المساعدة على الفهم والتأويل... لا يمكن الكتابة من فراغ في هذه الحال أو توليد الكذب والاباطيل واللامعنى.. كان يمكن لكلمة واحد من الفنانة أن تضيئ منطقة معتمة شاسعة.. لذلك عدنا الى أعمالها السابقة حيث كشفت لنا أن فكرة مشروع الاقامة في مركز الفن الحي برادس انطلقت في غابة مونتسيني MONTSENY وهي محمية طبيعية كما قالت في التراب الاسباني..

في هذه الغابة كانت الفنانة تقوم بتمرين طبيعي عجيب على صناعة الألوان وهي تتيح للطبيعة أن ترسم لوحاتها الخاصة على الورق الثخين.. تتسلل بمعية كلبها عميقا داخل غابة مونتسيني وتدفن ورق الرسم الابيض لتتداعى فوقه أوراق الشجر وتتحلل لمدة طويلة ثم تجمع الاوراق من الغابة وتعرضها كما هي.. فكرة تنصيبات الفيديو انطلقت من اسبانيا ثم اختمرت في مراسم نيو مكسيكو ونضجت في مركز الفن الحي بمدينة رادس.. لقد «تغدرت» أوراق مارتا في رحم الطبيعة العذراء بغابة مونتسيني وانتهى بها المطاف في رواق «بشيرة» للفن المعاصر بسيدي ثابت... أندلس ضائع مترحل خيّم أخيرا في فردوس جديد...

المشهد التركوازي..

رادس في تنصيبات الفيديو لمارتا فيراتي أصبحت أكثر جمالا أكثر بهاء ورادس في عيون الفنانة هي نموذج مكرر للمدينة الأصلية التي نشأت فيها برشلونة وهي كذلك مكان مميز للعمل الفني ومخبر حي للاشتغال والتدريب التشكيلي..

اليابان كذلك هي المحطة القادمة للفنانة كما تؤكد في وثوق عندما سألتها عن سر تصويرها لنبات متوسطي شبيه بشجرة الساكورا اليابانية الشهيرة.. والفنان رحالة بالضرورة حتى من خلال الخيال والحلم والتطلع.. تطابق عجيب لدى الفنانة بين رادس وبرشلونة وسيدي ثابت واليابان ومدن الغرب الامريكي المتاخمة للمكسيك التي تزورها الفنانة باستمرار وتنجز صورا فوتغرافية وتنصيبات فيديو ضمن مشروع تشرف عليه جامعة نيو مكسيكو..

الفنان مواطن من العالم وفنان حر وجوال يطبق المسافات بريشته وعدسته لا يمكن لأي طرف أن يثنيه عن الترحل والتشرد في الأوساع.. ريفا كان أو مدنا في ذروة التحضر..

كانت مساحة الفراغ كبيرة في الصورة المثبتة من لقطة فيديو مائعة.. في زمن العرض كانت هذه اللقطة مدوخة حقا فهي بالغة الصفاء والوضوح.. لامعة قد تعجز أرقع أنواع الآلات الطابعة عن سحبها بتلك الدرجة من الالذاذ والامتاع.. هل أجرت مارتا «تحميضا الكترونيا» على الصورة أم ان الملامح الباهتة نوعا ما للقطة متأتية من سرعة حركة العدسة أو رجفة يد المصور أو زفرة نفس مكلومة أو نشوة ذكرى محببة؟